الدرس السابع والثلاثون

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد:

يقول الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله تعالى في كتابه «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد » :

بابٌ من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقوله تعالى : {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا} الآيتين [هود:١٥-١٦] .

****

فهذا الباب ((**بابٌ من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا**)) عقده الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى لبيان أمرٍ آخر مما يكون قادحًا في الإخلاص وتوحيد العبد ؛ وهو أن يريد الإنسان بعمله الدنيا ، والمراد بالعمل : أي العمل الذي يُتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى ويُرجى به ما عند الله سبحانه وتعالى ، فإن عمِله العامل لا يريد به إلا الدنيا كان ذلك قادحًا في الإخلاص ، وقد مر معنا في الباب الذي قبله ((باب ما جاء في الرياء)) ؛ والرياء كذلك قادح في الإخلاص ؛ فكلٌ من الرياء وإرادة الدنيا بالعمل كلٌ منهما قادحٌ في الإخلاص ، إلا أن المرائي أراد بمراءاته المدح والسمعة والثناء -ثناء الناس عليه- ، وأما من أراد بعمله الدنيا فإنه يريد بذلك شيئًا محسوسًا؛ مالًا يأخذه دراهم ودنانير وتجارات وأرباح ، وكل منهما قصْده منافٍ للإخلاص وقادحٌ في الإخلاص ، إلا أن المرائي أراد بذلك مدحًا وثناءً فلم يحصِّل طائلًا ، وأما من أراد بعمله الدنيا فقد يحصِّل شيئا من أمور الدنيا التي يطمع فيها أو أصبحت هي همَّه ومبلغ علمه ، قد يحصِّل شيئا من ذلك لكن ليس له في الآخرة من نصيب وليس له في الآخرة ثوابًا على تلك الأعمال ، لأن إرادة الدنيا بالعمل محبطٌ للعمل كما في الآية الكريمة التي ساقها المصنف رحمه الله تعالى مصدِّرًا بها هذه الترجمة .

قال: ((**باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا**)) ؛ «بعمله» عرفنا أن المراد بالعمل: أي الأعمال الصالحة والطاعات والعبادات التي لا تُفعل إلا تقربًا إلى الله سبحانه وتعالى ، «الدنيا» :أي لم يرد بهذا العمل إلا الدنيا ، أي لم يرد الآخرة بالعمل ، ومن شروط قبول العمل والثواب عليه ونيل أجر الآخرة : أن يكون العمل أريد به الآخرة كما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٩] أي أنَّ الله سبحانه وتعالى إنما يشكر للعامل عمله فيثيبه عليه إذا أراد به الآخرة ، أما إذا

أراد به الدنيا فإنه لا يجد على هذا العمل في الآخرة ثوابًا وأجرًا لأنه لم يرِد به الآخرة ، ومن لا يريدون بأعمالهم الآخرة يتفاوتون كما سيأتي بيان ذلك عند الكلام على الآية الكريمة التي ساقها المصنف رحمه الله تعالى .قال : **((باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا))** .

قال : وقول الله تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[هود:١٥-١٦] ؛ فذكر الله سبحانه وتعالى هذا الذي إنما يريد بعمله الدنيا ، أي يريد بعمله الذي هو عمل الآخرة يقدِّمه لكن لا يريد به الآخرة وإنما يريد به الدنيا ، أي يريد ثواب الدنيا ولم يقم في قلبه طمع مثلاً في ثواب الآخرة ، يعمل عمل الآخرة لا يريد ثواب الآخرة وإنما يريد ثواب الدنيا ؛ هذا معنى قوله ﴿يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ أي ويريد زينة الحياة الدنيا من مال وتجارة ومكاسب وأرباح وما إلى ذلك .

قال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ ؛ نوف إليهم أعمالهم: أي ثواب الأعمال ، تلك الأعمال التي قدَّمها يريد عليها ثواب الدنيا يوفيه الله تبارك وتعالى أعماله أي ثواب أعماله ، مثل أن يقدِّم مثلًا صدقات ، أو يبني دورًا للأيتام ، أو مثلا يحفر آبارًا ، أو غير ذلك وهو لا يريد بهذا العمل الآخرة ، فالله جل وعلا يقول: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ أي ينال ثواب الدنيا الذي هو مقصده ومراده ، لكن لا ينال في الآخرة شيئا ، لأنه لم يرد الآخرة بعمله .

على أن هذه الآية وهي قوله ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ قيَّدتها الآية الكريمة التي في سورة الإسراء وهي قول الله سبحانه وتعالى:﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا(١٨) ﴾ ؛ فقوله جل وعلا ﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾هذا تقييد لقوله ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ ، فقيَّد قوله ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ قول الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء﴿ مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾

قال : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ؛ ذكر حبوط الذي صنعوه ، وهذا يعني أنه لا ثواب عليه في الآخرة ، فالحابط لا ثواب عليه ، وذكر أيضًا بطلان عملهم ، والبطلان يعني فساد العمل ، ومن لازم فساد العمل أن لا يكون له ثوابًا .

فهذه الآية جاءت في الوعيد لمن أراد بعمله الدنيا ، ومن يريد بعمله الدنيا قد يكون كافرًا بالله سبحانه وتعالى ولا طمع له أصلًا في الآخرة ، وأعماله كلها في الدنيا ولا همَّ له في الآخرة بل ولا تفكير له في الآخرة ، بل ربما لا

يؤمن أيضا بالآخرة ، فعمله كله يريد به الدنيا ، حتى مثلا ما يقدِّمه من أعمال ونفقات ووجوه الإحسان ونحو ذلك يقدمه وهو لا يريد به الآخرة ، قد يريد به مثلا جاهًا ، قد يريد به سمعةً ، مثل ما جاء في الحديث أن عَدِي ابن حاتم سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن والده ، والده حاتم الطائي الذي يُضرب به المثل كثيرًا في الكرم ، ودائما إذا ذكر الناس في القديم والحديث الكرم كرم شخص من الأشخاص قالوا : "مثل حاتم الطائي أو أكرم من حاتم الطائي" لأنه اشتهر بكرم عجيب ، ومن يقرأ في أخباره يجد أمورا عجيبة ، لكن تلك الأمور التي قدَّمها ما كان يريد بها الآخرة فلا يجد عليها شيئا في الآخرة ؛ فسأل عَدي بن حاتم الطائي النبي صلى الله عليه وسلم عن والده هل ينفعه ذلك؟ قال : كان يكرم الضيف ويفعل كذا ويفعل كذا ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّ أَبَاكَ أَرَادَ شَيْئًا فَأَدْرَكَهُ)) قالوا يعني الذكر ، وهو حديث حسن .

ونظيره ما جاء في صحيح مسلم أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن جدعان وهو عبد الله ، قالت : «إنه كان يقري الضيف ويساعد المحتاج ونحو من هذا ؛ هل ينفعه ذلك؟» قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)) أي لم يرد بهذه الأعمال الآخرة ، لم يرد الغفران ، لم يرد العتق من النيران ، لم يرد الفوز بالجنة ورضا الرحمن ، وإنما كان يقدِّم هذه الأعمال لأشياء ومرادات دنيوية قد يكون حصَّلها أو لم يحصِّلها ، لكن ليس له في الآخرة إلا النار ، قالت «هل ينفعه؟» قال ((لا)) .

فإذاً من يريد الدنيا بعمله قد يكون كافرًا ليس له أصلا مراد إلا الدنيا ولا همَّ له في الآخرة أصلا ، وقد يكون هذا الذي يريد بعمله الدنيا مسلمًا لكنه يصاب بنقص شديد في إيمانه وفي دينه في قليلٍ من أعماله أو في كثير منها فيريد بها الدنيا ، ولهذا المفسرون في هذه الآية منهم من حمل الآية على الكافر ، منهم من قال : نزلت في اليهود والنصارى ، ومنهم من حمل الآية على أهل الإسلام ممن جاءوا بالأعمال الصالحة على غير تقوى من الله أو على نقص في التقوى من الله ؛ بأن يكون عنده مثلا شيئا من الرياء أو شيء من إرادة الدنيا بالعمل أو نحو ذلك في حدٍّ لا يكون موصلًا صاحبه إلى الكفر الأكبر الناقل من ملة الإسلام ، وهؤلاء ولاشك الآية تتناولهم بعمومهما ، لكن ليس العقوبة التي لهم كالعقوبة التي للكافر ، وليس الحبوط الذي لأعمالهم كالحبوط الذي للكافر؛ فالكافر أعماله كلها حابطة لأن الكفر يهدم كل العمل ، وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ [التوبة:٥٤] ، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٥] ، ويأتي في كثير من آيات القرآن الكريم تقييد قبول الأعمال بوجود الإيمان، كالآية التي تقدمت ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء:١٩] ، وكذلك قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل:٩٧] ، والآيات في هذا كثيرة ، فمثل هذا كفره محبط لكل عمل . أما

المرائي أو من يريد بعمله الدنيا وعنده أصل الإسلام فإن ما وُجد عنده من يسير رياءٍ أو إرادة للدنيا بالعمل لا يكون مبطلا لأعماله كلها ، ولهذا قال العلماء الإيمان إيمانان :

١. إيمان يمنع الدخول ؛ أي يمنع صاحبه من دخول النار ، وهو الإيمان التام الكامل المطلق .

٢. وإيمانٌ يمنع من الخلود في النار ، وإن لم يمنع من دخولها .

فمثل هؤلاء إذا وجد عندهم مراءات وإرادة للدنيا بالعمل لهم عقوبة النار ، لكن ما عندهم من إيمان يمنع من خلودهم في النار ، ولهذا لا إشكال في كون الآية تتناول هؤلاء وهؤلاء ، لكن كلٌ له منها بحسب حاله ؛ فالحبوط للكافر حبوطٌ كامل وبطلان كامل لعمله وليس له في الآخرة إلا النار مخلداً فيها أبد الآباد ، وأما من كان عنده أصل الإيمان فإن أصل الإيمان إذا وُجد عنده منع من الخلود في النار ما لم يقم فيه كفرٌ أكبر ناقل من الملة ، فإن قام فيه هذا الكفر الأكبر أبطل أعماله كلها وأحبطها ولم يكن له في الآخرة إلا النار خالدًا مخلدًا فيها أبد الآباد.

وللإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في الكلام على معنى هذه الآية وتلخيص أحوال السلف كلامٌ عظيم للغاية جديرٌ بكل طالب علم أن يقف عليه وأن يتأمله لمتانته وأهميته وعظيم فائدته ، ولأنه عصارة عظيمة وخلاصة مفيدة جدًا لأقوال السلف في معنى هذه الآية الكريمة .

قال رحمه الله تعالى : قد ذُكر عن السلف من أهل العلم فيها –أي في هذه الآية ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ [هود:١٥-١٦] – أنواعٌ مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه :

- الأول من ذلك: العمل الصالح الذي يفعل كثيرٌ من الناس ابتغاء وجه الله ؛ من صدقة وصلةٍ وإحسان إلى الناس ونحو ذلك ، وكذلك ترك ظلمٍ أو كلام في عرض ، يعني يترك ظلم الناس أو يترك الكلام في أعراضهم ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصًا لله لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة ، إنما يريد أن الله يجازيه على هذا العمل بحفظ ماله وتنميته وحفظ أهله وعياله وإدامة النعمة عليه ونحو ذلك، ولا همة له في طلب الجنة ولا الهرب من النار ؛ فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب ، لأنه لم يرد بهذا العمل الذي عمله لم يرد به الآخرة وإنما أراد عليه شيئا في الدنيا . قال : وهذا النوع ذُكر عن ابن عباس في تفسير الآية ، يشير رحمه الله تعالى إلى ما جاء في التفسير عن ابن عباس في معنى هذه الآية قال : من عمل صالحا التماس الدنيا صومًا وصلاةً وتهجدًا بالليل لا يعمله إلا لالتماس الدنيا ، يقول الله : أوفّيه الذي التمس في الدنيا من المثابة ، وحبط عمله الذي كان يعمل وهو في الآخرة من الخاسرين ؛ أي لا ينال ثوابًا على هذا العمل في الآخرة لأنه أصلا لم يرد عليه شيئا في الآخرة .
- قال رحمه الله : والنوع الثاني وهو أكبر من الأول وأخوف ؛ وهو الذي ذكر مجاهد أن الآية نزلت فيه ؛ وهو : أن يعمل أعمالًا صالحة ونيته رئاء الناس لا طلب ثواب الآخرة وهو يظهر أنه أراد وجه الله ، وإنما صلى أو

صام أو تصدق أو طلب العلم لأجل أن الناس يمدحونه ويجُلُّ في أعينهم ، فإن الجاه من أعظم أنواع الدنيا ، فإن الجاه والشهرة والسمعة من أعظم أنواع الدنيا . قوله رحمه الله «وهو الذي ذكر مجاهد» جاء في التفسير عن مجاهد رحمه الله وهو من علماء التابعين قال في تفسير هذه الآية هم أهل الرياء ، ولهذا قال الشيخ وهو الذي ذكره مجاهد أن الآية نزلت فيهم .

- ثم قال رحمه الله النوع الثالث : أن يعمل الأعمال الصالحة ومقصده بها مالًا ، مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله ، أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، أو يجاهد لأجل المغنم ؛ فقد ذُكر هذا النوع أيضا في تفسير هذه الآية كما في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة..)) إلى آخر الحديث ، وكما يتعلم العلم لأجل مدرسة أهله أو مكسبهم أو رئاسته ، أو يقرأ القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيرا ، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم؛ لأنهم عملوا لمصلحة يحصِّلونها والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة في أعين الناس ولا يحصُل لهم طائل ، والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له لكن لم يطلبوا منه الخير العظيم وهو الجنة ولم يهربوا من الشر العظيم وهو العذاب الذي في الآخرة .
- قال رحمه الله النوع الرابع : أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له ، لكنه على عملٍ يكفِّره كفرًا يخرجه عن الإسلام ، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله وتصدقوا وصاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك أكبر أو كفر أكبر يخرج عن الإسلام بالكلية ، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة لكنهم على أعمالٍ تخرجهم من الإسلام وتمنعهم قبول أعمالهم ؛ فهذا النوع أيضا قد ذُكر في الآية عن أنس بن مالك وغيره وكان السلف يخافون منه ، وقوله «ذُكر عن أنس» جاء في التفسير عن أنس رضي الله عنه أنه قال : أنزلت في اليهود والنصارى ، ويقول الشيخ مثل أيضا كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك أكبر ، يعني مثلا شخص يحج ولم يبتغ بحجه إلا وجه الله ، لكنه إذا دعا استغاث بغير الله والتجأ إلى غير الله، والاستغاثة والدعاء عبادة وصرف العبادة لغير الله شرك أكبر ناقل من الملة مبطل للأعمال ، قد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨] .

ثم قال رحمه الله تعالى : (قال بعضهم لو أعلم –انظر خوف السلف رحمهم الله ورضي عنهم وألحقنا أجمعين بالصالحين من عباده– قال بعضهم : لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت) أي على هذه السجدة التي علمتُ أن الله تقبلها مني ، لأن الله يقول ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧] أي الذين اتقوا الله في العمل ، ويقول الله سبحانه وتعالى عن المؤمنين الكمَّل ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى

رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾[المؤمنون:٦٠] ، وقد سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما في المسند وغيره النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى هذه الآية قالت: «أهو الرجل يزني ويسرق ويقتل ويخاف أن يعذب؟» قال : ((لا يا ابنة الصديق ، وإنما هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ألا يُقبل)) ، ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله : «المؤمن جمع بين إحسان ومخافة ، والمنافق جمع بين إساءة وأمن» ؛ المؤمن عنده إحسان في العمل وفي الوقت نفسه خوف من أن يردَّ عليه العمل وأن لا يُقبل منه ، قال عبد الله بن أبي مليكة وهو من علماء التابعين : «أدركت أكثر من ثلاثين صحابيا كلهم يخاف النفاق على نفسه» ؛ فأهل الإيمان يحسنون العمل وفي الوقت نفسه يخافون أن ترد عليهم أعمالهم ، ولهذا مجاهدة للنفس في الإحسان والإتقان للعمل والإخلاص لله ، وفي الوقت نفسه إلحاح على الله سبحانه وتعالى بأن يتقبل منهم صالح أعمالهم .

قال بعضهم لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت لأن الله يقول : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧] ؛ فهذا قصَد وجه الله والدار الآخرة لكن فيه من حب الدنيا والرئاسة والمال ما حمله على ترك كثيرٍ من أمر الله ورسوله أو أكثره فصارت الدنيا أكبر قصده ؛ فلذلك قيل قصد الدنيا ، وصار ذلك القليل كأنه لم يكن كقوله صلى الله عليه وسلم ((صلِّ فإن لم تصل)) ، والأول أطاع الله ابتغاء وجهه لكن أراد من الله الثواب في الدنيا وخاف على الحظ والعيال مثل ما يقول الفسقة ؛ فصح أن يقال قصد الدنيا والثاني والثالث واضح .

هذه أربعة أنواع ذكرها رحمه الله تعالى كلها داخلة في معنى الآية ، تدل عليها هذه الآية الكريمة وهي منقولة كما أشار رحمه الله تعالى عن السلف في معنى هذه الآية . ثم ختم هذا الكلام بقوله : لكن بقي أن يقال إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالبًا ثواب الآخرة ، ثم بعد ذلك عمل أعمالًا كثيرة أو قليلة قاصدًا بها الدنيا مثل أن يحج فرضه لله ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو الواقع كثيراً ؛ فالجواب : أن هذا عمل للدنيا والآخرة ولا ندري ما يفعل الله في خلْقه ، والظاهر أن الحسنات والسيئات تدافع وهو لما غلب عليه منهما ، وقد قال بعضهم : إن القرآن كثيرًا ما يذكر أهل الجنة الخلَّص وأهل النار الخلَّص ويسكت عن صاحب الشائبتين وهو هذا وأمثاله ، ولهذا خاف السلف من حبوط الأعمال .

هذا كلام عظيم جدا ونافع وهو موجود في مجموع مؤلفات الشيخ وأيضا في الدرر السنية وفي غيرهما من المصادر .

قال رحمه الله تعالى :

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((تعِس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة ، إن أُعطي رضي ، وإن لم يُعط سخط،

تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبدٍ آخذٍ بعِنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه، مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع)) .

****

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث وهو في الصحيح –صحيح البخاري– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة**)) ؛ سمى النبي صلى الله عليه وسلم من كانت هذه الأشياء أكبر همه ومبلغ علمه وتمام حرصه عبدًا لها لأنها هي همه إن أعطي منها رضي وإن لم يُعط منها سخط ؛ رضاه وسخطه فيها ، حبه وبغضه فيها ، ولاؤه وبراؤه فيها ، فهو عبدٌ لها ، عبدٌ للدرهم وعبدٌ للدينار وعبدٌ للخميصة وعبدٌ للخميلة .

وبدأ عليه الصلاة والسلام تحذيره من هذه العبودية بقوله ((تعس)) وهذا دعاء عليه بالهلاك والخيبة والخسران .

((تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة)) بدأ بالعين ثم ثنَّى بالعرَض ، العين: الدراهم والدنانير ، والعرَض: الخميصة والخميلة ونحو ذلك من الأشياء .

قال: ((**تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة**)) والخميصة والخميلة نوع من الثياب ؛ الخميصة: ثوب من الخز أو الصوف ولا يقال له خميصة إلا إذا كان معلَّمًا ، والخميلة هو الثوب الذي فيه خمُل أي ذؤابات في أطرافه تحمِّله وتحسِّنه .

((**إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط**)) وهذا تفسير للعبودية ، عبودية هذا الشخص لهذه الأشياء إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط؛ أي أن همه هذه الأشياء ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[التوبة:٥٨] فهمه هذه الأشياء تفكيره فيها هي مبلغ علمه وهي مقصده ومراده ((إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط)) ؛ فجعله عليه الصلاة والسلام عبد ما يرضيه وجوده ويُسخطه فقْده .

قال: ((**تعس وانتكس**)) قال أهل العلم : تعس المراد به الخسران ، والمعنى أنه انكبَّ على وجهه ، تعس أي انكب على وجهه خاسرًا . وانتكس هذه حال أشد وهي أن يكون رأسه في الأرض وأعلاه فوق . تدرج في الدعاء عليه أولا بالتعاسة وهي الانكباب والسقوط على وجهه ، ثم أمر أشد من ذلك وهو أن يكون رأسه في الأرض ورجلاه إلى أعلى ، انتكس أي انتكس على رأسه فصار رأسه أسفل ورجلاه فوق .

((**وإذا شيك فلا انتقش**)) أي إذا أصابته شوكة لم يتمكن من إخراجها ولم يجد أيضا من يخرجها له ، وهذا مثال لحال من أصابه الشر إصابةً لم يتمكن من الخلاص منها ، تلوث فيه وتوغل فيه وأصيب به إصابة لم يتمكن من

الخلاص منها . قال ((وإذا شيك فلا انتقش)) أي لا نال المطلوب ولا سلِم من المكروه ، فهذه حال من كان عبدًا لهذه الأشياء.

قال: ((**طوبى لعبدٍ آخذ بعِنان فرسه**)) لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حال عبد الدرهم وعبد الدينار وعبد الخميصة وعبد الخميلة الذي لا همّ له إلا تلك الأشياء فيها يرضى وعليها يسخط ، لما ذكر حاله ذكر حال أهل العبودية الخالصة لله والصدق مع الله وحُسن الإقبال على الله سبحانه وتعالى بقوله ((طوبى لعبد)) ؛ قيل طوبى المراد به الثواب العظيم والأجر الجزيل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد:٢٨-٢٩] ، قيل طوبى أي الثواب العظيم والأجر الجزيل .

وقيل طوى شجرة في الجنة ، جاء في المسند للإمام أحمد بسند جيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((طُوبَى شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا)) ، وتأمل هذه اللطيفة من أكمامها ثياب أهل الجنة ، وأولئك شغلتهم ثياب الدنيا خميصة وخميلة وأصبحت هي شغلهم الشاغل وهمُّهم عن هذا الموعود الكريم والثواب العظيم .

قال: ((**طوبى لعبدٍ آخذ بعنان فرسه**)) عِنان الفرس : أي خطام الفرس وزمامه ؛ منطلقا في الجهاد في سبيل الله إعلاء لكلمة الله مخلصا بعمله لله لا يبتغي به إلا وجه الله .((آخذ بعنان فرسه سبيل الله)) أي مخلصا إنما يبتغي ذلك وجه الله سبحانه وتعالى .

((**أشعث رأسه، مغبرة قدماه**)) أشعث رأسه: أي رأسه شعِث ليس مرجَّل لأنه منشغل في ملاقاة العداء والانتصار لدين الله تبارك وتعالى ، مغبرة قدماه : لأنه ليس عنده وقت للعناية بترجيل شعره وتنظيف بدنه وإنما هو في سبيل الله .

((**إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة**)) لا يهمه المكان الذي يوضع فيه في الجهاد ، أينما وضعه القائد –قائد جيش المسلمين– في مكان قبِله ، همه نصرة دين الله مطيعًا للقائد إن وضعه في مقدمة الجيش قبِل ، وإن وضعه في الحراسة في مؤخرة الجيش قبِل ، المهم أنه ماضي في هذا العمل المبارك الطاعة العظيمة مجاهدًا في سبيل الله ، ((إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة)) لا يبالي في أي مكان وضع من الجيش ؛ في المؤخرة أو في المقدمة أو في أي مكان هو مخلص في عمله مطيع لقائد الجيش مؤتمر في المكان الذي يوضع فيه طالبًا بعمله ذلك وجه الله سبحانه وتعالى .

((**إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفَّع**)) أي أنه إن استأذن على أمير من الأمراء أو وجيه من الوجهاء أو شخص من الأشخاص الكبار لم يؤذن له ، لأنه ليس له شأن عند الناس وليس له مكانة عند الناس ، آثر الخمول والتواضع فليس له شأن ولا مكانة عند الناس ((إن استأذن لم يؤذن له)) .

((وإن شفع)) أي احتاج الأمر أن يشفع لأحد في أمر ما لم تُقبل شفاعته ، لأن الشفاعة يقبلونها من الشخص الذي له مكانة عندهم ولهم به معرفة وله بهم خلطة فيقبلون شفاعته ، أما مثل هذا شفاعته تُرد .

قال ((إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع)) وليس هذا لهوانه بل إنه كريم عند الله مثل ما جاء في حديث آخر قال نبينا عليه الصلاة والسلام ((رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ)) .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل ؛ الأولى : إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة .

قال رحمه الله تعالى : ((فيه مسائل ؛ الأولى : إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة)) ؛ بعمل الآخرة من صلاة أو صيام أو حج أو صدقة أو بر أو إحسان أو غير ذلك يعمله وهو لا يريد به الآخرة وإنما يريد به الدنيا ؛ وهذا كما تقدم من الشرك ، قال: ((باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا)) .

الثانية : تفسير آية هود .

تفسير آية هود وهي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾[هود:١٥-١٦] إلى تمامها والآية بعدها ، ومر معنا تفسيرها وأيضا مر معنا تلك الخلاصة العظيمة الوافية للإمام المجدد رحمه الله تعالى مما استخلصه من كلام السلف رحمهم الله تعالى في معنى الآية .

الثالثة : تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة .

لأنه قال عليه الصلاة والسلام: ((تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم)) ؛ فإذا كان هذا الشخص الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم عبدًا لها لهذه الأشياء بمعنى أنها استرقَّت قلبه واستلبت فكره وشغلت فكره فأصبح همه لها فهو عبدٌ لها ، وإذا كان عنده مع ذلك أصل الإيمان ولم يبلغ بعبوديته لها ورقِّه لها مبلغ الشرك الأكبر والكفر الأكبر الناقل من الملة فهو مسلم لكنه ناقص الإيمان ضعيف الدين عبوديته لهذه الأشياء قادحة في إيمانه وقادحة في عبوديته لله سبحانه وتعالى .

الرابعة : تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط .

«تفسير ذلك» أي عبد الدرهم عبد الدينار إلخ تفسير ذلك بقوله ((إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط)) ، ومعنى ذلك أنه جُعل في هذا الحديث عبدًا لما يرضيه وجوده ويسخطه فقده ((إن أعطي منها رضي وإن لم يعط منها سخط)) .

الخامسة : قوله ((تعس وانتكس)) .

وهذا أيضا دعاء عليه بتعس وانتكس ، وكلٌ منهما دعاء عليه بالخسران والخيبة؛ تعس وانتكس ، وقيل في معنى تعس: أي انكب على وجهه ، وانتكس: انتقال إنما هو أشد من ذلك وهو أن يكون رأسه أسفل ورجلاه أعلى .

السادسة : قوله ((وإذا شيك فلا انتقش)) .

أي إذا أصابته شوكة في قدمه أو في موضع من بدنه فلا انتقش أي لم يتمكن من إخراجها ولم يجد أيضا من يخرجها منه ، فلا نال المطلوب ولا سلِم من المكروه .

السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

الثناء على المجاهد –أي في سبيل الله تبارك وتعالى– الموصوف بتلك الصفات في قوله ((لعبدٍ آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفَّع)) .

وبهذا ينتهي ما ذكره رحمه الله تعالى من مسائل تحت هذه الترجمة .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .